## شيطان الضمير

### رشا محمد العجرمي

أهلاً بك يا صديقي بعالمي الخاص، عالم الأزهار، والأشواك، عالم المرجان، وأسماك القرش، عالم القوة والضعف.

كُل ما يخطر ببالك موجودٌ بعالمي، وبما أنك قرأت فأنت الآن بضيافتي و سجين لدى.

هيا بنا لأعرفك على محتوى غرفتك وأهميتها بالنسبة لي، لا تنظر الي باستغراب سوف تشكرني فيما بعد.

أنتظر هنا تأمل المكان قبل أن تخطو قدماك أرض سِجنك

أووه لقد نسيت. أقصد غرفتك، لا علينا جل من لا يسهو..

فأنا من سيقطن معك و لكن دون أن تراني، هيا أفتح الباب، انتبه! ما بك هل أنت خائف، لا تخف، فأنا أخشى عليك من السقوط.

تقدم أهلاً بك، هيا لأعرفك عليها و على محتواها ، أنظر ليمينك هناك سريرٌ يكسوه غطاءٌ أحمرُ اللون، و وسادةً حمراء اللون أيضًا، لا تنظر إلّي باستغراب فأنا أعشق اللون الأحمر، لون الدم..

و هناك على يسارك دلوَ ماءٍ فارغ لتقظي حاجتك فيه، و هناك أيضا دلوٌ آخر مليء بالماء لتغتسل.

أنظر تحتُك على الأرضية المتأرجحة ما بك هل أصابتك لعنة الاستغراب مرةً أخرى؟

لا تخف ستعتاد عليها، كما أعتدتُ عليها فهي امدتني باسترخاء عظيم.

لم يعد ذاك الشيء الغامض بالحديث معي و تلاشى الصوت تمامًا..

و بعد تلك اللعنة التي أصابتني، و مازالت تسيطر علي، ألقيت جسدي المتعب على سرير الدم هكذا أطلقت عليه، تأملت سقف الغرفة، أي غرفة!! أنه سجن و بحارسٍ غير مرئي ليس له وجود و له وجود.

تنهدة تنهيدتًا لم تنقطع إلا عندما شعرت بأنفاسٍ دافئة و قوية تقترب مني.

ألتفتُ حولي لأرى صاحب الأنفاس لكنني لم أرى أي أحد، و حين تأهبة ليعود جسدي ليستلقي على سرير الدم.

إلا بتلك الأنفاس الدافئة تتحول لصوت يملؤه الخشونة ليقول: أنتظر لا تدع جسدك يستلقي مرة أخرى، و بنظرة استغراب أخذت أنظر تارة يمينًا، و أخرى يسارًا، و يبدأ صوتي بالارتفاع، و التوتر، و الخائف بالصراخ

كيف؟ لا أعرف!.

من أنت؟! و ماذا تريد مني؟!

فضحك صاحب الصوت الخشن ضحكتًا تملئها اللئم و الخبث و قال: ما بك يا صديقي؟! لما كل هذا الصراخ؟! أهدأ لن أصيبك بمكروه، ولم أجلبك الي هنا لأعذبك، بل أتيتّ بك لأخبرك عن ماضٍ ارتكبت به خطيئة لن تغتفر لك من أي أحدٍ كان، إلا غيري فأنا من يغفر الخطيئة و أنا من قال لك ارتكبها..

نظرت إليه و عيناي تزداد اتساعًا! و عدت لأكرر عليه سؤالي مرة تلوه مرة، و لكنه لم يجبني و لكن تلك الكلمات أعادت لي ذكرى قد نسيتها أو بالأحرى أتناساها.

و عادت تلك الأسئلة تجول بعقلي أكثر مما قبل، و بدأ الحوار بيني و بين عقلي: نعم يا عقلي له كل الأحقية بكل تلك التذكيرات، فأنا من أرتكب كل أنواع الخطيئة.

فعدت بالنظر حولي لأراه و أتحدث معه وجهًا لوجه لكني لم أري الحاضر الغائب.

ماذا حدث في الماضي؟ لما أسئل نفسي، فأنا من شربَ كأس خمرٍ مِن أجود

أنواعِه مع فتياتٍ تتمايل كل منهما علي، و أنا أتلمس شعر كل واحدة على حدا، و الضحكات تعلو مع الموسيقى الصاخبة و راقصات تتراقصن بين حشود الرجال.

فقترب مِني صديق قديم لي لم أراه منذُ انتهائي من الدراسة الجامعية.

فنظرت للفتيات لكي يخلو المكان لأتحدث معهُ، و عندما تركاني، عادت إحداهن و قبلتني و تأملتها و كأن عيناي تتوسل لها بالبقاء، ثم رحلت مع صديقاتها.

نظرتُ لصديقي جون هكذا كان يطلق على نفسه من زمنٍ بعيد، و قال: مرحبًا يا طوني، كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ كيف لا تكون بخير و أنت تجلس بين حسناوات منها الشقراء و الأخرى حنطية اللون.

أهلاً بِك يا صديقي، أين أنت يا رجل؟

لقد بحثت عنك كثيرًا، منهم من يقول أنك رحلت من من شقتك المتواضعة لشقة كبيرة بأجمل مدينة في العالم باريس، و منهم يقول أنك مُت.

فبدأت ضحكاتنا تعلو في المرقص، و قال: ما بك يا رجل هل تُريدني أن أمت لتعيش حياتك بين تلك الحسناوات، و عادت الضحكات تعلو أكثر

فأكثر.. فطلبتُ له كأس خمرٍ..

وعند انتهائنا من الشُرب أخذتُ جون أودعه، و بعدها عدتُ أدراجي لكأسي.

فنظرت حولي لأجد تلك الفتاة التي قبلتني تقترب مني، و قالت: هل انتهيت من الشُرب؟ فأومأتُ لها بالأيجاب.

و ذهبنا سويًا ليئر الخطيئة.

و في اليوم التالي استيقظت، و أزحه نفسي للجهة الأخرى لألقي نظرة على تلك الحسناء، و لكنني لم أجدها.

فعدتُ لأكمِل نومي و كأن شيء لم يحدث.

فرحت في سُبات و فتحتُ عيناي في عالمٍ خالٍ من الملامح لا شيء يفهم فيه..

و بعدها تحدث معي ذاك الشيء، و قال: لماذا تنظر حولك؟ بهذه الكلمات عاد ليكمل حديثه معي.

أنا ماضيك و حاضرك أنا كل تلك الغرف، أنا تلك الأسِرة التي ألقيت جسدك اللعين عليها، و يحيطه الحسناوات بكل شكلٍ و لون، و أنا من أمرك بإلقاء الملابس على الأرض.

و هنا صمت صاحب الصوت الخشن كأن قلبه يملؤه الحزن و عدم الرضى لما حصل.

و عاد ليقطع كل تلك الاستفسارات التي تجول بخاطري، و تدور بعقلي، و طرح سؤال لم أفهم معناه أهو سؤال أم استفسار، و قال: من الذي أيقظ ضميرك الذي كان في سباتٍ عميق لا يشعر بأي ذنب أرتكبه؟!، و تغلب علي أنا الذي لا يقهر، و لا يُكسر.

و عادت عيناي بالأتساع بعد أن عاد هدوئها، و سألته بشدة، و بقوة: هل عدتُ بعد تلك الخطايا للهداية والصواب، والرشد؟!

و عاد الحزن يحتل صوته، و قال: نعم لقد عدت لرشدك، و لكنني سأقطع ذاك الرشد سأقطعه من جذوره.

و بانفعال شديد واجهته: لماذا تريد قطع جذور هدايتي؟!

و عند طرحي لذاك السؤال بدأ ذاك الشيء بالظهور رويدًا رويدا، لأري شيء لم تراه عيناي من ذي قبل عيون متسعتان و يحمل على رأسه قرنان حُمر بلون الدم، و فمه يملؤه أسنان كبيرة، و لكن أنيابه كانتا بارزتان بشكل مُلفت للانتباه.

فبدأ جسدي بالرجوع للوراء، و عيناي تبدأ بالاتساع.

فضحِك و ضحِك و لم يكُف عن الضحِك و فجاه بدأت تلك الضحكات بالتلاشي، فنتشر السكُون و بعثر أوراقه بكل أرجاء غرفتي! أي غرفة إنه سجن و سجن لعين.

فاقترب مني وقال: لا تخف يا صديقي، أنت عوني، و كتفي، أنت سلاحي الفتاك، و منفذ لكُل خططي الشيطانية، و بدأ رأسي بالنفي و الرفض، و شعرتُ حينها بعجزي عن الكلام لأدافع عن نفسي و أبرأ من تلك الكلمات التي تفوه بها شيطاني نعم إنه شيطاني و ضميري اللعين المذنب حامل الخطايا، و لكن لما اختارني؟! كم أنا غبي كيف لا يختارني، و هو أنا، و أنا هو..

و بدأت أنفاسه الحارة كحرارة الشمس و أكثر بالانتشار بكل أرجاء سجن غرفتي، و حينها بدأ وجهة البشع بالرجوع للوراء الذي كان يسجن جسدي بسجني

و قال: سأتركك الآن لتسترخي علي أرض غرفتك المتأرجحة ستريحك جدًا. إلى اللقاء.

و بهذه الكلمات انتهي لقائي مع ذاك البشع المليء بالذنوب، و لكن

كيف سأسترخي بعد تلك الكلمات؟!، و لكن لا مفر فأنا هنا مع ضميري.

أخذت جسدي لألقيه على سرير الدم، و لكن في هذه اللحظة شعرت كأن أنفجار سيفجر رأسي فوضعت كلتا يداي لتحضن رأسي لعل الألم يزول.

و تذكرت الأرض المتأرجحة التي حدثني شيطاني عنها، فأخذت جسدي المتعب و ألقيت به عليها، و فعلاً بعد وقتٍ قصير و أقصر من القصير شعرت بالأسترخاء، و غفت عيناي، كيف لا أعلم؟!

و في اليوم التالي أيقظني كابوس أعاد لي كل ما مضي من خطايا و ذنوب، و من حسناوات، و كؤوس خمرٍ، و ملابس ملقاة على الأرض و الأسره البيضاء منها والحمراء الزاهية.

و من شدة الفزع لا أستطيع رفع رأسي، و جسدي، و قدماي كأنهم رُبطو بحبال مشدودة بإحكام حاولت جاهدًا رفعهم، و لكن بلا جدوى، وبقيت مستلقيًا على الأرض، وفجأة توقفت عن التأرجح، فشعرت حينها بأن جسدي يستطيع التحرك من مكانه.

فرفعت رأسي ثم جسدي، و قدماي حملت كِليهما.

فاتجهت لدلو الماء الممتلئ لأغسل وجهي، و بعد انتهائي رفعته لألقي نظرة

على ملامحه فأنا لا أدري كيف كانت و كيف أصبحت، و لكنني لم أري أي شيء فلا مرآه وجدت و لا ملامح، و بدأت تنهيداتي بالتسارع و الظهور بشكل لا أستطيع توقيفها.

و في حينها أغمضت عيناي، و رجعت بي الذاكرة لتلك الغرف، و كل الخطايا.

لما ضميري يأنبني على ما هو أمرني به؟!

لماذا يريد قطع جذور هدايتي؟!

فعادت يداي تحضن رأسي من جديد، فرفعته و تأملت السقف تارة، و سرير الدم، و الأرض المتأرجحة تارةً أخري.

وعادت الأسئلة تتساقط من عقلي ولساني، أريد أجوبة على كل سؤال!

لم أستطع الصمت و لا السكوت، لا أريد أن أموت هنا، فأنا هو، و هو أنا.

ضميري شيطان لعين فأنا عبدٌ له، و هو مالكي.

فصرخت بأعلى صوتي ليأتي، و لكن بلا جدوي، و صرخت، و صرخت، و لم يأتي أو حتى أشعر بأنفاسه.

أريد الخروج من سجني. هل سأقضي على ما تبقى من عمري هنا؟!

فأنا شيطان، و هو شيطان الضمير..

***